السيكودراما التربوية: أداة فعالة لتنمية الكفايات التربوية، وبناء شخصية متعلم القرن الحادي والعشرين

مصطفى مرزوكي
mostafa.merzougui@uit.ac.ma
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

ملخص

تناولت الدراسة الحالية دور السيكودراما في تنمية الكفاءات التربوية. ففي هذا العالم الشديد التغير، ينبغي أن تسهم المدرسة عملية بناء أجيال المستقبل قادرين على الاندماج في مجتمع القرن 21 الذي صار مجتمعا واحدا بفعل انتشار وسائل التواصل التي أصبحت متاحة للجميع. وهذا ما أدى لتغيير في البنيات النفسية، والاتجاهات الاجتماعية والقيمية لدى الأفراد. وهذا التغير يكشف ضعف وهزالة التكوين النفسي للمتعلم، والتي تظهر من خلال سهولة انقياده، وتغير مواقفه، والتأثير على قناعاته، وتبديل اتجاهاته. ومن بين الحلول العملية لعلاج تلك الاختلالات، نجد السيكودراما التربوية كمقاربة تطبيقية في العلاج النفسي الجماعي تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المجال التربوي؛ وهو ما غاب على السيكودراما الكلاسيكية، حيث عملت على تطوير هذه الأخيرة مستفيدة من التقدم السريع والهائل للعلوم المعرفية. وتهدف عموما إلى بناء المواطن الصالح الذي يمتلك، إضافة إلى الكفايات المعرفية، بالكفايات الاستراتيجية، والمهارات اللغوية، والحسية الحركية، والاجتماعية، وهذا يمكنه من اكتساب مناعة نفسية ومعرفية تجعله يخوض غمار الحياة بكل ثقة وفعالية.

الكلمات المفتاحية: السيكودراما التربوية؛ الكفايات التربوية؛ العلاج النفسي الجماعي؛ المناعة النفسية.

Educational Psychodrama: an effective tool for developing educational competencies and building 21 century learner's personality

Mostafa Merzougui
mostafa.merzougui@uit.ac.ma
Faculty of letters and human sciences, Ibn Tofaïl University, Kenitra, Morocco

Abstract

The present study examined the role of psychodrama in the development of educational competencies. In this highly complex, the school should participate to the process of building future generations, who are able to integrate in the society of the 21 century; which became almost one community due to the proliferation of social media that are available for all, which lead to a great changes in psychic structures, in addition to shifts in social and value trends in individuals. This change reveals weaknesses in the psychological formation of the learner, which appear through the ease of his obedience, the variation in his attitudes. Among the practical solutions to remedy these imbalances is educational psychodrama which is an applied approach to group psychotherapy, that takes in consideration the specificities of the educational field that differs from the classical psychodrama in taking advantage of the great progress of cognitive science. Generally, educational psychodrama aims to build a good citizen who possesses, in addition to cognitive competencies, strategic competencies, and linguistic, sensorimotor and social skills; and that permits him to acquire psychological immunity that enables him living with confidence and efficiency.

Keywords: educational psychodrama; educational competencies; group psychotherapy; psychological immunity.

مقدمة

أصبح العلاج النفسي الجماعي يحظى بأهمية ما فتئت تتعاظم مع مرور الوقت، نظرا للمزايا التي تميزه عن باقي الطرق الأخرى في العلاج النفسي؛ فهو يمتد من علاج العلاقة مع الذات إلى علاج الاختلالات العلائقية مع الأغيار، والمحيط الاجتماعي إضافة إلى اختصاره للجهد والوقت والمال. فمن خلاله يتم علاج جماعة من الأفراد في آن واحد مما يجعل هذا النمط العلاجي يضيف أبعاد أخرى في العلاج المفتقد في العلاجات الفردية: كالتغذية الراجعة، والمساندة الجماعية، والتفاعل المستمر، والفعل الدينامي للجماعة، والتواصل، والتطهير النفسي، والتعاطف... وغير ذلك من مكاسب هذا النوع العلاجي الذي انتشر بسرعة، وتطور بشكل ملحوظ في أغلب الدول الصناعية، حيث لوحظ استعماله على نطاق واسع في أغلب الأنشطة الاجتماعية لهذه الدول: كالمقاولة، والمصنع، والمستشفيات، ودور الرعاية، والمدارس، والجامعات، والمعاهد وغيرها...، ويقول الأمريكي كارل روجرز في هذا الصدد بإن العلاج الجماعي هو الاختراع الاجتماعي الأسرع انتشارا في القرن، ويمكن القول كذلك أنه الأقوى والأكثر عطاء (Marc & Bonnal, 2014, p. 1).

وقد اعتمدت عدة أساليب في المجال التربوي قصد زيادة الكفاية التربوية: كاللعب، والمسرح، والأنشطة التعبيرية، والموسيقى، والرقص، والرحلات الاستكشافية، وباقي الأنشطة الجماعية...؛ وذلك، وعيا من الفاعلين التربويين بالأهمية التي يكتسيها بناء العلاقات الاجتماعية الناجحة والفعالة في تحقيق مردودية تربوية بصفة خاصة، وبناء مواطن المستقبل المتوافق مع ذاته ومع الأغيار بصفة عامة، لكن، وبالرغم من ذلك، لوحظ تزايد اختلالات في بعض الظواهر خلال سيرورة التربية بالمؤسسات التعليمية: كالعنف، والتسرب، والانقطاع المدرسي، والإدمان، واللاتكيف الدراسي، والجريمة، والانتحار وغير ذلك من المظاهر التي بدأت تؤرق المربون وتدق ناقوس الخطر حول مستقبل المجتمع، ومواصفات مواطن الغد خصوصا في هذا القرن الذي شهد ثورات معرفية، ومعلوماتية، وسياسية، وقيمية ما فتئت تتفاعل مع البناءات النفسية، والتمثلات المعرفية، والاتجاهات الاجتماعية.

وشكلت السيكودراما ثورة ثالثة في مجال علم النفس حسب مكتشفها الطبيب والمعالج الروماني جاكوب ليفي مورينو بعد كل من ثورتي بنيل من خلال تحرير المرضى النفسيين من القيود، وثورة فرويد في اكتشاف واستثمار اللاشعور (العقل الباطني)، حيث أضاف مورينو بعدا ديناميا في العلاج من خلال دينامية الجماعات، والفعل الدرامي أثناء سيرورة العلاج، وهذا يبين تباين المناهج العلاجية بين مورينو وفرويد، أي بين العلاج عن طريق التداعي الحر الفردي بواسطة الأريكة؛ وبين العلاج عن طريق الفعل الدرامي الدينامي الجماعي بواسطة الفضاء المسرحي. ومن ثمة يكون أسلوب العلاج النفسي لا يعتمد الكلام فقط، وإنما الفعل لأن الإنسان حسب مورينو يتطور من خلال سيرورة الأدوار الاجتماعية، وليس فقط من خلال الخبرات الماضية وبخاصة ما يمتد للطفولة. ففي أحد الأيام التقى مورينو أستاذه فرويد، فما كان لمورينو إلا أن أوضح أشكال الاختلاف الكبير في أسس العلاج النفسي بينه وبين فرويد قائلا: "حسنا، دكتور فرويد، لقد بدأت من حيث توقفتَ. أنت تقابل الناس في وضعيات مصطنعة لمكتبك، في حين ألتقي بهم في الشارع، وفي بيوتهم، وفي محيطهم الطبيعي. أنت تحلل أحلامهم، بينما أنا أقدم لهم التشجيع لكي يحلموا من جديد. أنت تحللهم وتجعلهم يبكون كل واحد على حدة، بينما أسمح لهم بأن يؤدوا أدوارهم الصراعية، وأساعدهم لجعل تلك الأجزاء تظهر من جديد بشكل جماعي" (Wengell, 2008, p. 228).

وبالرغم من شيوع السيكودراما كممارسة علاجية في جميع أنحاء العالم، وبخاصة في الدول المتقدمة صناعيا وبالرغم من الأهمية والمردودية المحصل عليها عند تطبيقها إلا أن ولوجها المؤسسات التربوية ظل محتشما وضئيلا مقارنة بالمؤسسات الصحية، والمقاولاتية، والصناعية نظرا لاعتبارات موضوعية تتمثل أساسا في الشروط الخاصة بتطبيقها، كتوفر فضاء ركحي بمواصفات خاصة، علاوة على نواة مساعدة متخصصة تحضر الورشات العلاجية، ناهيك على أن الهدف الرئيسي من السيكودراما هو العلاج وليس التربية أو تطوير الكفايات التربوية؛ لذلك، ظهرت مقاربة جديدة في السيكودراما ملائمة لخصوصيات الوسط

التربوي، غير مكلفة، ولا تشترط مساعدين مختصين، بل فقط، علاوة على سيكودرامي متمرس، فضاء تتوفر فيه شروط السلامة، والإضاءة، والتهوية إضافة لبعض المقاعد وهي أمور متوفرة أصلا في المؤسسات التربوية والتعليمية؛ حيث استثمرت هذه المقاربة العلوم المعرفية، وما استجد في ميدان التربية والتعليم مستثمرة في آن واحد كل من البعد العلاجي والتربوي باعتبارهما سيرورتين متفاعلتين كل واحدة منهما تغتني بالتواصل المستمر مع الأخرى. وسنحاول فيما يلي الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي السيكودراما التربوية؟ ما الاختلاف النظري والتطبيقي بينها وبين السيكودراما الكلاسيكية؟ وما هو دورها في اكتساب الكفايات التربوية، وبناء شخصية متعلم القرن الواحد والعشرين؟

1. ما هي السيكودراما التربوية؟

نشير في البداية أن هذه المقاربة أملتها ضرورة معالجة مجموعة من الاختلالات ذات الطبيعة النفسية والتربوية بالأوساط التعليمية، واستعمال نشاط جماعي يهدف إلى علاج المشاكل النفسية للأفراد، وكذا المشاكل الاجتماعية، في إطار جو تفاعلي دينامي منتج، وفاعل يراعي خصوصيات الميدان التربوي، يجعل المتعلمين مقبلين عليه دون إحراج؛ وهكذا ظهرت السيكودراما التربوية كنشاط يستخدم الفعل الدرامي ليحقق تنفيسا وتطهيرا، إضافة إلى اكتساب، وتنمية كفايات تربوية أساسية لبناء متعلم قادر على تحمل المسؤولية، منسجما مع الذات والأغيار، منتجا، فاعلا، قادرا على إيجاد الحلول المناسبة واختيار الاستراتيجيات المطامعرفية الكفيلة بحل وضعيات مشكل قد تعترضه مسبقا.

وتعتبر السيكودراما التربوية مجالا تطبيقيا مرتبطا أساسا بعلم النفس التربوي، والتي تستخدم العلاج النفسي سواء الفردي أو الجماعي بواسطة طرق درامية، وهي فعل مواز للفعل التربوي، والتي تؤدى حصصها ليس بالضرورة داخل مستشفيات طبية، أو في مسارح خاصة كما هو الأمر، مثلا، عند مورينو، بل يمكن أن يكون الفضاء فضاءا تربويا (قاعة دراسية، قاعة محاضرات، قاعة عروض، ساحات المؤسسات ...)، وتهدف عموما إلى علاج مشاكل ذات طبيعة نفس- تربوية تعيق تحقيق النتائج المرجوة من عملية التربية والتعليم، من خلال تجاوزها لأطروحة اللعب للمرة الثانية، إلى لعب أدوار مستقبلية بطرق خاصة، كما تهدف إلى إكساب الشخص (المتعلم) مناعة نفسية ومعرفية (مرزوكي، 2015، ص. 14).

وقد أثرت نظرية التراجيديا الأرسطية في تصور مورينو للسيكودراما، ذلك أنها تؤدي إلى إثارة عاطفتي الخوف والشفقة لدى المشاهد، وبالتالي تطهير النفس منهما أو ما يسمى بالكاطارسيس، وهو ما جعل مورينو يعتبر أن كل حقيقة مؤلمة تؤدى على الركح للمرة الثانية، فإنها تحررنا من الأولى، لكن أداء أدوار درامية في السيكودراما التربوية لا يكون بغرض إثارة عاطفتي الخوف والشفقة كما هو الأمر عند الكلاسيكية، وإنما على ما ينتجهما، أي ذلك التقلب في أدوار البطل، وذلك التغير للأقدار من السمو إلى الانحطاط، ومن السعادة إلى الشقاء، وهو ما يعبر عنه بالوضعية المأمولة (الإيجابية)، والوضعية المرفوضة (السلبية) التي تجعل البطل يعي واقعه ويحدث لديه استبصار، خصوصا، وأنه يؤدي مواقف حياتية سواء أكانت معيشة أو افتراضية. ففي الحالة الأولى المعيشة تؤدي به إلى التجاوز بعد فعل التطهير، أما في الثانية المرتبطة بالمواقف المفترضة (المتخيلة) فيؤدي به الأمر إلى اكتساب مناعة نفسية تجاه مواقف مستقبلية من خلال بناء وتطوير استراتيجياته.

وإذا كان المشاهد للتراجيديا الأرسطية هو من يتوجه إليه العمل من خلال أخذه للعبرة مما يقع لغيره من البشر نتيجة عدم توازنه واعتداله، فإن البطل في السيكودراما التربوية هو الذي ينتج تراجيدياه الخاصة فيتأمل عواقب سلوكه الوخيمة ونتائج أفعاله السارة وبذلك يتم تجاوز التطهير إلى تغيير الاستجابات النمطية، ثم التفكير في حلول ممكنة عبر بناء استراتيجيات ملائمة ومرنة مع المواقف والتكيف مع الوضعيات الحياتية. وهكذا نجد دومنك باروكان Dominique Barrucand ينبه أنه لا يمكن الاكتفاء بالقول إن الكاطارسيس هو تفريغ عاطفي، بل يجب تحديث بنيته الأساسية للاتصالات، بالرغم من أن في طبيعته

ونتائجه تبقى واحدة، ما دام يترافق مع "ذوبان البناءات" التي تمكن الشخص من تغيير الاستجابات النمطية السابقة (Barrucand, 1970, pp. 327-328).

ويعتبر الفعل أو الأداء جزءا أساسيا في السيكودراما التربوية، فعندما تقدم وضعية أو صراع في الواقع على خشبة المسرح، وبعد المناقشة، يتم تشجيع الناس لتصوير حالات حياتهم في شكل درامي، بأداء جسدي للقاءات والصراعات التي لا توجد إلا في ذاكرتهم أو أوهامهم. وبالتالي فإن الشخص الذي وضع كمحور المجموعة، أي البطل، يساعد على تجربة الممارسة، والفعل، من خلال مواقف ومشاعر معينة، سواء كانت في الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل. والحدث لا يتم إلا بعد إحماء مناسب، ويتبع بفترة ما بعد الفعل أو المشاركة (René, 1989, p. 155).

وإذا كانت المحاكاة في الدراما ذات موضوع عام، أي تجسد ما هو ممكن أو محتمل وقوعه، وليست صورة طبق الأصل للواقع بل تصور لما يمكن أن يكون عليه الواقع، فإن هذه الخاصية المجاوزة للواقع هي دعامة قوية للسيكودراما التربوية حيث لا يتم الاكتفاء، خلال حصصها، بتجسيد الحقيقة فقط، والواقع المعيش، بل يتم تجاوز ذلك إلى محاكاة أدوار محتملة قد تحدث للبطل، أو قد تكون جد محتملة أو مشابهة لها، وخاصة بما يرتبط بواقعه التربوي (النجاح، الفشل، تحقيق الذات، الرسوب...). ونشير أن أرسطو اعتبر المحاكاة خاصية غريزة فطرية لدى الإنسان وليست صفة مكتسبة لديه أو منقولة عن طريق التنشئة الاجتماعية، بل هي متأصلة فيه منذ الولادة، وبذلك اعتبر أرسطو الإنسان أكثر الكائنات الحية محاكاة للواقع؛ لذا نجد في السيكودراما التربوية بعد تجاوز التطهير من خلال لعب مراحل مقلقة ماضية من تجارب الفرد، محاكاة تجارب محتمل حدوثها في المستقبل عبر لعب درامي لوضعيات مرفوضة لاكتساب مناعة نفسية، ووضعيات مأمولة لاكتساب حوافز معرفية

وبالرغم من اهتمام بعض المحللين والمعالجين والأطباء النفسانيين بأهمية الجسد ودوره في كشف بعض الأعراض المرضية وظهور تصنيف للأمراض التي تجمع النفس بالبدن والذي يسمى بالسايكوسوماتيك Psycho-somatic، إلا أن القليل منهم من انتبه إلى ضرورة تحرير الجسد عبر تغيير نمطيته، وسلبيته بتمارين مستمدة من الارتجال. فعندما يتم غمر عاطفة، فكرة، رغبة، وعندها يتم اللجوء إلى عدة احتمالات لتحقيق رغبتنا (إذا كانت لدينا الوسائل ممكنة) كاللعب بواسطة خيالنا، وتفكيرنا...، وعندما تفشل جميع هذه الإمكانيات، يعبر عن ذلك بأعراض جسدية (Poussin, 2005, p. 94)، فمن شأن عملية تحرير الجسد، أن تسهم في العلاج، والنمو، والتعلم، لذلك نجد في السيكودراما التربوية أن تحرير الجسد عبر أنشطة ارتجالية من الأسس المساعدة على التقليل من المقاومة السيكولوجية التي تعبر في المعنى التحليلي عن كل العمليات المعارضة للعلاج (الهروب إلى المرض، أعراض، ميكانيزمات الدفاع،...) والتي تختلف عن التردد الذي يعبر عنه على الفور بعدم التكلم، الخجل، الأعمال العدائية. إضافة إلى ذلك، يؤدي تحرير الجسد إلى التخفيف من حدة ميكانيزمات الدفاع النفسي خصوصا إذا تعلق الأمر بجماعة علاجية من الأطفال أو المراهقين.

إننا عندما نعبر عن أنفسنا من خلال العمل ننخرط في المستوى الجسدي. إن حضور الحركات الجسدية، والاتصالات الجسدية الممكنة، ضمن جلسة العلاج، له تأثير قوي. هناك علاقة عميقة بين الجسم، والحواس، من جهة، وبين الحالات العاطفية، والعقلية، من جهة ثانية. فمن خلال الانخراط في المستوى الجسدي عند أبطال الدور، فإنه يسهل الوصول إلى عالمهم العاطفي والداخلي. هذه الاتصالات بين المادي والنفسي، تخبر السيكودرامي، وتعلم البطل المرونة الجسدية والصوتية من أجل أن يأخذ دورا دراميا على نحو أكثر فعالية. وبدون هذا التدريب، يظل التعبير يقتصر على المعتاد، أو قد ينتهي اللعب في كل دَوْر.

إن هذا الميل إلى التعبير، والذي يسميه مورينو بالتعطش للفعل هو الذي يجعل الناس في حاجة ماسة لأكثر من الكلام العادي خلال تفاعلاتهم ورغباتهم، وأن عدم إشباعه قد يؤدي إلى تمظهرات غير صحية، فعندما يحبط فعل التعطش فإن الناس غالبا ما يندفعون نحو تصرفات جانبية، والتي تعبر عن احتياجاتهم غير الواعية، وهذه الدينامية تم تحديدها بشكل جيد عند المحللين النفسيين، ولكن ما لم يتم اعتباره هو تسخير هذا

الميل نفسه في خدمة زيادة الوعي الذاتي. ففي السيكودراما يكون الفعل خارجيا إلى درجة المبالغة، حيث ترتبط بالوضعيات الأصلية وكذا أشكال أخرى للتعبير، لأنها تعمل في حقل العلاقات الشخصية، وتشاهد من المخرج والجمهور، وتستحضر كذلك الرؤية الذاتية للبطل، وتعمل على تحويل السلوك، مما يعزز الاستبصار، ويعطي قدرة أكبر للانعكاس الذاتي (Blatner, 1996, p. 14).

وانطلاقا من هذه العلاقة بين النفس والجسد كانت أولى مراحل حصص السيكودراما التربوية تهتم بتحرير الجسد- إضافة إلى تحرير الفكر والمشاعر- عبر مجموعة من الأنشطة الارتجالية التي تخلق تلقائية مأمولة، وتحررا من سياقات وأنماط للتفكير والتواصل مما يؤدي إلى سيولة العلاج وسهولته والتفاعل الإيجابي بين المتعلمين الذين يشكلون الجماعة العلاجية.

2. ما الاختلاف النظري والتطبيقي بين السيكودراما التربوية والسيكودراما الكلاسيكية؟

السيكودراما التربوية هي طريقة تستدمج العلاج النفسي الدرامي لغايات نفسية وتربوية، وقد أكدت دراسات ميدانية أنها تلعب دورا مهما في علاج المتعلمين من أمراض وأعراض سيكولوجية، إضافة إلى تحقيقها لجودة تعليمية وتربوية تهم التحصيل الدراسي، والمواظبة، والمناعة النفسية، والاندماج المدرسي، والتربية على الذوق الجمالي، وغير ذلك. ويمكن مقاربتها، بصفة عامة، مقارنة بالسيكودراما الكلاسيكية من خلال مستويين:

♦ مستوى مناقشة تصور مورينو من خلال انحصار الفعل السيكودرامي في عملية التطهير للنفس من الشرور والأمراض التي لحقت بها، وتجاوز ذلك إلى تطوير هذه الممارسة، لتغدو علاجا فعالا وتربية مستقبلية في آن واحد.

♦ مستوى تحديد متطلبات الفعل التربوي: وفيه تم تجاوز السيكودراما كعلاج جماعي إلى علاج فردي وجماعي، وجعلها طريقة تنمي الملكات والقدرات والكفايات، وتجعل المتعلم أكثر اندماجا داخل محيطه التعليمي، وأكثر استعدادا لمواجهة مشاكل مستقبلية.

واعتبارا لخصوصية المجال التربوي، فقد جمعت السيكودراما التربوية بين العلاج الجماعي والعلاج الفردي حسب الحالات، لأن بعض المشاكل الشخصية يجب ألا تحكى وتؤدى دراميا داخل جماعة حرصا على أسرار الشخص، ولزيادة ثقة الفرد في السيكودرامي وإقباله على الحصص بكل ارتياح واطمئنان اللذان يشكلان أساس العلاقة بين المعالِج والمعالَج. كما تم توظيف التعبير الكتابي في السيكودراما التربوية، وهو الشيء المفقود في السيكودراما الكلاسيكية، وذلك من أجل مواكبة تطور الحالات ورؤية الموضوع من جوانب أخرى، ليكون لملاحظات السيكودرامي معنى ودقة أكثر، وإشراك المتعلم المعالَج في سيرورة العلاج والتطور، حيث لوحظ أن كتابة المشاكل والتعبير عن تطور العلاج من قبل المريض، تزيد من درجة استبصاره للموضوع وإدراكه للتغيرات الطارئة على حالته، إضافة إلى إعطائه فرصة للحديث عن معاناته، ورغباته، وتمكنه من فرصة مراجعة أفكاره وقراراته. كما تم في السيكودراما التربوية الاهتمام أكثر بالجسد، وبلغته، وبالمرونة الفكرية، عبر تقنيات وتمارين تجعل المتعلم لا يشعر بالملل، ويزداد انخراطه في العلاج والنمو.

ومن أجل جعل هذه الطريقة التي تطبق داخل الميدان التربوي أكثر إجرائية، فقد تم التخلي فيها عن شروط الركح السيكودرامي ومواصفاته الخاصة، والتي لا يمكن توفرها في المؤسسات التعليمية من جهة، والتي يمكن اعتبارها شروطا ثانوية، لأن أي فضاء يمكن أن يؤدي نفس الوظائف ويحقق نفس الأهداف ما دام للسيكودرامي القدرة على جعل البطل يندمج داخل الدور بتلقائية تامة، ويجعله قادرا على ارتجال مواقف، أو تغريبه عن الدور.

وتهدف السيكودراما عموما إلى علاج مشاكل ذات طبيعة نفس- تربوية تعيق تحقيق النتائج المرجوة من عملية التربية والتعليم، من خلال تجاوزها لأطروحة اللعب للمرة الثانية، إلى لعب أدوار مستقبلية بطرق

خاصة، كما تهدف إلى إكساب الشخص (المتعلم) مناعة نفسية ومعرفية، وهي تختلف عن السيكودراما الكلاسيكية من حيث الأهداف والطرق كالتالي:

- من حيث الأهداف: لا ينحصر دورها فقط في بلوغ "الكاطارسيس" أو التطهير النفسي، بل تتجاوز هذه المرحلة إلى جعل لاعب الدور (البطل)، يستشرف مستقبله المحتمل ويعيشه على المستوى السيكولوجي في جو محمي وآمن، وهو الشئ المفتقد في السيكودراما الكلاسيكية التي، رغم محاولتها تجاوز المنهج التحليلي الفرويدي من خلال إقحامها للفعل الدرامي ردا على التداعي الحر والعلاج غير النشيط، لم تستطع تجاوز نظرية اللاشعور كخبرة ماضوية للفرد.

- الرفع من المردودية التربوية، وذلك من خلال جعل لاعب الدور يبني استراتيجياته المعرفية بطريقة مستقلة وواعية، من خلال اعتمادها، إضافة الى الوضعية المعيشة، على الوضعية المرفوضة، والوضعية المأمولة، مما يمكن من التفكير الواعي لحل مشاكله الذاتية، وبناء واختيار الاستراتيجيات المناسبة لحل المشاكل، وهذا ما تفتقده السيكودراما الكلاسيكية التي تهدف تحديدا إلى اكتشاف الأسباب المباشرة للاضطرابات، وإعادة استحضار الماضي ولعبه دراميا كحقيقة.

- إكساب لاعب الدور مناعة نفسية تجعله يستجيب بالكيفية المناسبة لوضعيات جديدة، من خلال أدائه لأدوار سيكولوجية، تجعله يتخذ موقفا سليما من مواقف وأحداث ربما ستصادفه مستقبلا، كما أنه سيكون مستعدا لخوض غمار الحياة بثقة وعزم وحسن اختيار وتكيف مع مختلف الوضعيات وتجاوزها، مما يمكنه من النجاح في حياته، الشئ الذي تفتقده السيكودراما الكلاسيكية بالرغم من أنها تحاول التنفيس عن لاعب الدور وتطهيره من المشكل النفسي المسبب لاضطراباته، إلا أنها لا تعده للحياة القادمة كما أنها لا تضمن عدم وقوع الفرد فريسة لنفس المشكلة التي سبق وأن عايشها وأثرت فيه بشكل سلبي.

- من حيث الطرق: فبالرغم من أن كلا من السيكودراما الكلاسيكية، والسيكودراما التربوية تشتركان في اعتمادهما على الارتجال، إلا أن السيكودراما التربوية تعتمد على تحرير الجسد أكثر من خلال ألعاب حركية ارتجالية، إضافة إلى اعتماد السيكودراما التربوية على كتابة مشاكل الشخص في مرحلة الإعداد، وهذا ما تفتقر إليه السيكودراما المورينية، إذ لا تحاول جعل الفرد مشاركا، ومواكبا لعلاجه، وواعيا بتطور حالته، وكيفية تجاوز مشاكله، إذ تبقى هذه الأمور خاصة بين المعالج وبعض الأنوات المساعدة من أخصائيين.

3. ما دور السيكودراما التربوية في اكتساب الكفايات التربوية، وبناء شخصية متعلم القرن الواحد والعشرين؟

الفضاء المدرسي ليس مجالا للتحصيل فقط، إنه المكان الذي يقضي فيه الشخص معظم أوقاته في عصرنا الحالي، حيث يحضر التفاعل الاجتماعي، وصقل المواهب والمهارات، وتربية السلوك، وتحديد الاتجاهات، وتنمية القدرات والكفايات اللازمة لمواجهة تحديات الحياة، وهذا يفترض أن تكون المؤسسات التربية مساهمة بشكل فعال، علاوة على إعداد مواطن صالح، في بناء شخصية الفرد التي تساير تطورات العصر المتسارعة، وفي إعداده بالاستراتيجيات المعرفية الكفيلة بجعله قادرا على الاستجابة المناسبة للمواقف والأحداث التي سيصادفها، وبالتالي خلق جيل متوافق قادر على مواكبة المستجدات، مطور لذاته ومجتمعه باستمرار، ربح للمجتمع وليس عالة عليه، وهذا يتطلب خلق الاتزان النفسي، والقدرة على الاندماج الاجتماعي، والتفاعل العلائقي المنتج، والدفع للإبداع والخلق... لكل ذلك، كان لزاما على التربية الحديثة الاهتمام أكثر بتنمية شخصية الفرد وتطوير قدراته، النفسية، والعقلية، والجسدية؛ وليس الاقتصار على التلقين الذي أصبح لا يشكل أهمية في ظل الثورات المعرفية، والرقمية، والإعلامية التي شكلت بحق أيقونات القرن الواحد والعشرين.

إن العلاج النفسي الجماعي بصفة عامة، والسيكودراما التربوية بصفة خاصة يدمجان العلاج النفسي ضمن سياقه الاجتماعي، وبالتالي محاولة إصلاح الاختلالات النفسية، والعلائقية خلال سيرورة العلاج، خصوصا إذا كان هذا الأخير يستثمر اللعب من خلال الفعل الدرامي، ويهدف إلى العلاج وتنمية الكفايات في آن واحد، وهذا ما يجعل المقاربة بواسطة السيكودراما التربوية لها دلالة، ومعنى، ومردودية.

إن دراسة أسباب الأمراض النفسية توضح الدور الذي تلعبه الأسباب الاجتماعية، ودراسة أعراض الأمراض النفسية تظهر خطورة الأعراض الاجتماعية، ويعتمد التشخيص على دراسة الجوانب الاجتماعية والسلوك الاجتماعي للمريض، والعلاج النفسي يتضمن العلاج النفسي والعلاج الجماعي (عبد الرحيم النوايسة، 2015، ص. 55).

وإذا كان تماسك الجماعة يعبر عن مجموع القوى التي تؤدي إلى إبقاء عضوية الأفراد في الجماعة؛ فإنه يتوقف على وجود شيء مشترك بين الأعضاء، هو الهدف من تكوين جماعة، فكلما كانت الهدف واضحا لأعضاء الجماعة ومرغوبا منهم ساعد ذلك على تماسك الجماعة. ومن المعروف لدى علماء الاجتماع وعلم النفس أن الاختلافات بين أعضاء الجماعة تولد فقدان الأمن، وعدم وحدة الهدف. ومن الحقائق الثابتة أن الأفراد ذوي الخبرات المشتركة يكونون أكثر ترابطا كما أن أولئك الذين يشتركون في معايير وقيم واحدة يكونون أكثر ترابطا إذ تحكم هذه المعايير وهذه القيم سلوك الأفراد وتحدد قواعد الثواب والعقاب" (عويضة، 1996، ص. 79).

إن السلوك الإنساني لا يتناول فقط الأشياء والأفكار، بل كذلك الآخرين من الأغيار، فقد يؤدي دخول فرد واحد لجماعة تغيير في توازنها أو وتماسكها، وقد يعرضها للخطر أو يشكل زيادة تلاحمها، ومن الناحية النفسية الاجتماعية، نجد اختلافات واضحة بين الأفراد: فهناك من الأفراد من يفرض نفسه بطريقة طبيعية، وهناك من يغلق على نفسه برجه العاجي، ويوجد أناس يسعون للاتصال بالآخرين، وأناس يهربون منهم، وهناك من يجتذب المودة، وهناك من تلفظه المجموعة، وهناك من يهيئ للمجموعة تماسكها، وهناك من يسعى إلى تفككها (بينوا، 1964، ص. 141).

إن تعلم الاستجابات والمهارات قد يكون بالتقليد والمحاكات أيضا فالمتعلم الذي يشكل فردا من مجموعة علاجية للسيكودراما التربوية قد يكتسب مهارات من خلال ما يقدمه الآخرين أمامه في وضعيات سيكودرامية خاصة رغم عدم مشاركته في الورشة كبطل الدور أو كأناة مساعدة، فهو يكفيه فقط حضور الحصة ورؤية تغيرات أقدار البطل، والوضعيات المحتملة لكي يكتسب استراتيجيات مطامعرفية، ويغير تصورات مغلوطة ويكتسب حوافز للسلوك، ويرى Bandura أن القضية الرئيسية لأي نظرية تعلم هي الإجابة عن السؤال التالي :كيف يتعلم الإنسان استجابة جديدة في موقف اجتماعي؟ وإحدى الإجابات هي أن الإنسان يكافأ كلما قام بتقريبات للاستجابة النهائية، وفي حين أن هناك دلائل توحي بأن كل أشكال السلوك الاجتماعي فعلا قد تكتسب من خلال إجراء تشكيل الإجراءات هذه، إلا أن تقارير الأبحاث توضح كذلك أن الناس يستطيعون تعلم الاستجابات الجديدة لمجرد ملاحظة سلوك الآخرين، وهؤلاء الناس الآخرون يعتبرون من الناحية التقنية نماذج models واكتساب الاستجابات من خلال مثل هذه الملاحظة يسمى التشكيل modeling، وعلاوة على ذلك فإن القضية الرئيسية للنظرية التي تهتم بالتعلم بالملاحظة هي تفسير اكتساب الاستجابات كنتيجة لملاحظة شخص آخر (آل عبد الله، 2012، ص. 30).

وسنحاول فيما يلي عرض ما قد يفضي إليه تطبيق حصص السيكودراما التربوية من فعالية على شخصية المتعلم وبناء وتطوير كفاياته:

أ. اكتساب المناعة النفسية

لقد تبث من خلال عدة تجارب وبحوث إكلينيكية، أن تطبيق حصص السيكودراما التربوية يؤدي إلى إكساب المتعلم مناعة نفسية، فمن خلال جعل المتعلم يعيش وضعيات مرفوضة مفترضة عن واقعه المستقبلي، يجعله يقوم بتنشيط خطاطاته الذهنية، وتغيير تمثلاته، وجعله على استعداد نفسي ومعرفي لمواجهة ومقاومة وضعيات مشابهة في المستقبل، ويبني استراتيجيات للخروج من هذه الوضعيات المقلقة، التي تكمن وظيفتها في استشراف اللامتوقع، ولا يمكن للمتعلم القيام بذلك دون منحه استقلالية سيكولوجية والتي لا تعبر عن السلوكات الفعلية للفرد داخل وضعية تعليمية بقدر ما تصف قدرة ممكنة على التصرف داخل هذه الوضعية، لأن الاستقلالية تعلم ولا تدرس وهو ما عبر عنه هنري هوليك (H. Holec) بالتعلم

الموجه ذاتيا apprentissage autodirigé، والذي يستلزم متعلما مستقلا لكن هذا الأخير ليس بإمكانه توجيه تعلمه ذاتيا بالضرورة دون اكتساب استراتجيات لذلك. وبذلك لا تكون الاستقلالية مرادفا للتكوين الذاتي ولا أسلوبا للتعلم بل حالة ذهنية لا تكتسب كليا ولا يمكن استغلالها في جميع مجالات التعلم، كما أنها ليست سلوكا وحيدا أو منهجية قارة يعمل المدرس على تطبيقها، كما أنها لا تعني إقصاء كل مبادرات المدرس (بياض، 2010، ص. 43).

إن أداء وضعيات مؤلمة محتمل حدوثها ومصادفتها خلال حياة البطل، والتي تعبر وضعيات مرفوضة، تعتبر منبها للذهن رغم ما قد يبدو من سلبية تحملها، مثل الخوف العادي الذي يزيد من سرعة تدفق الدم لتزويد الأعضاء بالأوكسجين ومواد القيت، لكي تزداد سرعة ردة الفعل النفسية والفكرية والجسدية لمواجهة مخاطر محدقة بالذات، ذلك أن الذهن يتكيف في كثير من الأحيان مع التجارب المؤلمة عبر فصل بعض الأفكار والمشاعر عن الوعي العادي وكذلك بعضها البعض، إنه نوع من التجزيء أو عملية التقسيم. إن معظم ما يسميه المحللون النفسيون "ميكانيزمات الدفاع " يستعمل هذه المناورة الأساسية للخداع-الذاتي self-deceptive، فمثلا الكبت هو فصل الوعي عن التجارب الذاتية، في حين إنكار الجزيئات كخبرة خارجية هي اختبار للواقع (Blatner, 2000).

كما أن السيكودراما التربوية، تربي الوعي اليقظ للتلميذ، من خلال مساعدته على التكيف مع الوضعيات المشكل التي قد يعترضها، وجعله متمكنا من اختيار الاستراتيجيات المناسبة لحل المشاكل، لأن المناعة النفسية هي أساسا القدرة على التصرف والمقاومة المثلى للمشاكل، من خلال وعي كامل للتلميذ بالمشكلات والكيفية الإجرائية لمواجهتها، لأن الوعي حسب التصور المطامعرفي، هو في نفس الوقت، تلك القدرة للشخص على تحليل الوضعيات واختيار الإجراءات المناسبة مع التحكم في الإنجاز وتقييمه للفعالية (Fayol & Monteil, 1994, p. 101).

إن لعب أدوار مفترضة من طرف البطل لا تعتبر ابتعادا عن حياة الشخص البطل، ما دامت نابعة من صميم تفكيره ومن إنتاجه الخاص، لعالمه الداخلي الذي يفترضه هو لنفسه، لذلك تحاول السيكودراما التربوية إثارة انتباه البطل ـــ الشخص إلى ضرورة تسليط الأضواء على الجانب الآخر من ذاته، تخفيفا لميكانزمات الدفاع ومحاولة لإعطاء الأمور حجمها الطبيعي وتجاوز التعميم أو التضخيم أو التقليل، إضافة إلى اكتساب استراتجيات ـــ معرفية ومناعة سيكولوجية اتجاه مواقف محتملة في المستقبل، وجعل بطل الدور واثقا من ذاته من خلال عملية الاتزان المعرفي والوجداني التي تؤدي إليها حصص السيكودراما التربوية التي تتجاوز فعل التطهير أو "الكاطارسيس" ومعايشة الأحداث للمرة الثانية اللتان يمثلان جوهر السيكودراما الكلاسيكية إلى لعب وضعيات مفترضة.

ب. الاهتمام بمشاكل المتعلم وتحقيق اندماجه الدراسي

إن السيكودراما التربوية ليست مجرد حصص للعلاج النفسي فحسب، بل هي أداة تربوية فعالة، تشجع على الحوار المتبادل، واحترام رأي المتعلم، والتربية على التعاون والمشاركة، وتبادل الخبرات والآراء والتجارب، وهي وسيلة فعَّالة للإنصات لهموم المتعلمين، من خلال احترام خصوصياتهم وحاجياتهم ورغباتهم، مما يؤدي لزيادة فاعليتهم وبالتالي تحقيق النتائج المرجوة، فشروط التحصيل الإيجابي تكمن في وجود التلميذ ضمن جماعة فصل يشعر بارتياح معها. وهكذا، فإذا كانت المدرسة كمؤسسة لها أعرافها وتقاليدها، بل وقوانين تنظيمه خاصة تحدد العلاقات بين الأطراف المشتغلة بها، كل في موقعه، على التلميذ أن يندمج فيها، ويحقق نتيجة دراسية ينال بها رضى أسرته ومدرسته وأصدقائه، فإن مفهوم التوافق الاجتماعي بالمدرسة، يصبح هو النظر إلى فعالية التلميذ ونشاطه، مع اعتبار الجو المؤسسي للمدرسة، والتأكيد في المقام الأول، على الاندماج النفسي الاجتماعي في المجال الحيوي للمدرسة عامة، وللفصل على وجه التحديد (عوض، 1977، ص. 71).

إن تحقيق تقدم كبير في صياغة ملامح شخصية المتعلم وثراء رصيده اللغوي والمعرفي، رهين بإيجاد بيئة استماعية ناجحة داخل المجال التربوي بما فيه الفصل الدراسي، فالعديد من الصعوبات والعوائق التي يشكو منها اليوم بعض المتدخلين التربويين بخصوص تعثر تقدم درجات المتعلمين في التحصيل، نابعٌ أساسا من عدم توفير بيئة تواصلية مثالية داخل صفوفهم، والإنصات لمشاكلهم، والاستماع باهتمام إلى آرائهم وأخذها بعين الاعتبار، ويقول أكرم مصباح عثمان في هذا الصدد: "للإنصات أثر واضح في قاعدة الدرس، فالمعلم عندما يتبع قاعدة الإنصات لطلابه يستطيع أن يقوم بالدور الوظيفي التعليمي، ويؤثر في درجة انضباطهم وانتباههم داخل الفصل، مما ينعكس على توافقهم مع أنفسهم والمحيطين بهم بالإضافة إلى رفع المستوى التحصيلي لهم. حيث إن الدراسات تشير إلى أن الانتباه للمعلم يؤمن 75% للطالب من الفهم والاستيعاب لمادة الدرس. والطفل في بيته يتدرب تلقائيا على الاستماع منذ المهد، فهو يتواصل مع العالم عبر حاسة السمع، ثم تتطور أجهزته وحواسه في سن معينة ليبدأ بالنطق والكلام، ويسمع ركاما هائلا لا حد له من الكلمات التي تشكل في بداية حياته معظم خبراته وتصوراته للأشياء..." (الصمدي، 2010، صص. 97-98).

وتتميز السيكودراما بإثارتها مواضيع تربوية، بغرض تحقيق تكيف للمتعلم ومن ثمة، اندماجه داخل محيطه التربوي، وبالرغم من التداخل والخلط الذي يميز كل من التكيف والاندماج، إلا أن الأول يمثل الخطوة في اتجاه تحقيق التوافق، ذلك أن التكيف عملية آلية ترتبط غالبا بالجوانب الجسمية، والبيولوجية، بينما يشكل التوافق عملية دينامية تتفاعل في نطاقها شخصية الفرد مع عناصر البيئة، ويكون الحسم في الصراع لصالح المحيط تارة، ولصالح الفرد تارة أخرى، "فإذا كان التكيف هو السلوك الذي يجعل الفرد يتكاثر ويغير لديه الطرق الموروثة في السلوك ـــ أي الغرائز ـــ فإن التوافق هو ظهور العادات وتعديلها عن طريق التعلم (لعمش، 2013، ص. 53).

ت. استبصار أمثل للواقع وللذات

من خلال الاندماج في الدور، يستطيع المتعلم تطهير نفسه، ومعايشة المشاكل المقلقة التي مر بها للمرة الثانية قصد التخلص منها، لكن السيكودراما التربوية لا تبقي على هذا الاندماج للحقيقة الماضية للبطل، بل تحاول تغريب المتعلم عن دوره، ليتسنى له استبصار الواقع على حقيقته، ورؤية ذاته عبر مرآة الآخر، لأن الآخر سيشكل وعلى تعبير الفيلسوف الوجودي سارتر ذلك الوسيط الذي لا غنى عنه بيني وبين ذاتي، وهو الذي يمكنني من الوعي بمظاهر وجودي، فسواء أكانت الحصة السيكودرامية فردية أو جماعية، فإن الغير يبقى أساسيا وحاضرا ولا بديل عنه للوعي بالذات والواقع الخارجي، إذ يمكِّن التفكير الصوري للمتعلم أكان طفلا أو مراهقا أو شابا، من الشروع في مقارنة ذاته بالآخرين وملاحظة الاختلاف القائم بينه وبين الآخرين، فأخد مسافة عن الذات تقود إلى التطلع إلى معرفة وجهة نظر الآخر ورؤيته للأمور، بل التطلع إلى معرفة الذات من خلال الآخر عبر تقاسم الأفكار والأحاسيس والقيم، وذلك من خلال التواصل والتقدير المتبادل والعمل الجماعي والتفاوض وفك النزاعات. وهكذا يدرك المتعلم الاختلاف القائم بين الأفراد الذي تقوم عليه عملية الانتقاء والمنافسة والتفاضل سواء في المدرسة أو في اللعب أو في الحياة المهنية" (شعالي، 2013، ص. 63).

ث. بناء العلاقة الثلاثية "جسد/ نفس/ فكر"، وتقوية روابطها

لقد لوحظ، خلال مرحلة الإحماء، أن تطبيق تمارين حركية وأنشطة جسدية، يؤدي لزيادة في حماس المتعلمين واستعدادا أكبر للأداء الدرامي، وتقوية الروابط الاجتماعية لأفراد الجماعة العلاجية، خصوصا بالنسبة للأطفال والمراهقين، مما يوضح الفرق بين طريقة السيكودراما التقليدية التي كانت تعتمد في الإحماء، على أنشطة ارتجالية، الهدف الرئيس منها إعداد البطل لولوج تطهير الاندماج في الدور، وبين طرق السيكودرما التربوية، التي تهتم بعلاقة الجسدي بكل من النفسي والفكري، وعبر هذه الأنشطة الجسدية يتم تحقيق أهداف عدة من بينها:

- الزيادة في الدافعية والنشاط والاستعداد للمرحلة الموالية (الأداء الدرامي).
- فعالية التواصل الاجتماعي، وقبول الآخر، ونسج علاقات إيجابية، وزيادة في التلقائية المأمولة.
- تحقيق جو من المرح والثقة المتبادلة بين المشاركين.
- زيادة في سرعة الاستجابات الفكرية والجسدية والنفسية.
- تخفيف التوتر وزيادة الثقة بالنفس.
- رفع درجة التركيز الذهني لدى المشاركين.

ج. العلاج والتربية

إن الهدف الأساسي من السيكودراما التربوية هو تربوي وعلاجي في آن واحد، فالمردودية التربوية لا يمكنها أن تنفصل عن الصحة النفسية والعقلية إضافة للجسدية لدى المتعلمين، كما تبين لنا أن هذه الطريقة العلاجية النشيطة، تؤدي إلى جعل المتعلمين أكثر تحصيلا ومناعة نفسية.

لقد شكل المسرح منذ القدم وسيلة تربوية فعالة، وأداة علاجية فعالة، وظل يعبر ويعكس هموم المجتمع، ويرسخ ثقافته وقيمه، ويحيطه علما بمشاكل عصره ومعارف تلك اللحظات، وبما أن المحيط الاجتماعي الجديد الذي تعيش فيه الناشئة له متطلبات أكثر من ذي قبل، فقد أصبح من أكثر من ذي قبل الاهتمام بالمسرح لتحقيق المعايشة واكتساب التجربة التي لا يستطيع أن يعيشها الفرد لوحده، لأن الحياة اليومية لا تمنحه إلا فرصة ضئيلة للتعبير عن عواطفه تعبيرا مرضيا، فيظل يعاني كبتا وقلقا ويظل بحاجة إلى ما يخفف عنه هذا الكبت والقلق وإن لم يجد مجالا لذلك نجده يثور وينفجر أثناء عمله لأتفه الأسباب، فيفرغ ما يجد في نفسه من حبيس العواطف على ما مقدر له أن يلتقي به أو يتكامل معه. فلو نال الفرد منذ الطفولة تدريبا خاصا في مجال التمثيل لكانت وسيلة يتنفس بها عمَّا في أعصابه وما يعج في نفسه من القلق والقسوة، ومن ثم يستطيع الفرد أن يكبت عواطفه ويسيطر عليها فيوجهها وجهة يرضاها دون أن تتحكم به وتقوده. ومن هنا يجب على المدرسة أن تبحث وتهتم بالأشكال الجديدة للتعبير وتوظفها لخلق التلميذ السليم (أسعد، 1988، صص. 130-131).

السيكودراما التربوية وسيلة يتجاوز بها التلميذ إحباطاته ومعيقاته النفسية، من خلال تجسيده لمعيشه وحاضره وما يتطلع إليه في المستقبل، وجعله يحقق ذاته بدون تردد أو تقاعس عن ذلك، لأن الأصل أن تتميز حياة الشاب بتفتح عام وسعي دائب نحو كفايات محسوسة، فإذا ألم به عصاب، أمكننا إرجاعه إلى تردده أو انكفائه عن هذه الضرورة (يونغ، 1997، ص. 83).

إضافة إلى ذلك، نجد اللعب الدرامي في السيكودراما التربوية يعتبر وسيلة مهمة لتنمية جسم المتعلم، وتقوية إدراكاته الحسية وتعرفه على العالم الخارجي، فبالتمثيل كذلك يتعرف الطفل بذاته على حركات جسمه، ويطور مهارته في استغلال حركات جسده التي تكون بدورها مهمة في نموه، كما يساعد على استخدام الحواس بشكل جيد من خلال الإصغاء والتركيز ودقة الملاحظة، في اكتساب ما هو موجود لأجل أدائه في مخيلته إلى ما قبل اكتشافه (أسعد، 1988، صص. 119-120).

ح. التربية على الحس الفني والجمالي

يسهم التمثيل في تطوير الإبداع الفني لدى الإنسان عموما والتلميذ خصوصا، فعن طريق عملية التجسيد الفني، تنفتح أمامه آفاقا في المعرفة وشغفا بالفن، مما يزيده تجربة ويكسبه خبرات شخصية في المضمار ذاته عند ممارسته التمثيل. كما أن هناك نزوعا لدى الطفل يمتاز برغبة المشاركة في خبرات الغير، كخبرات الفنان التي يرونها ممثلة أمامهم بالألوان والأشكال، أو خبرات الموسيقى التي يسمعونها ممثلة في النغمات المتناسقة، فالتمثيل طريق الناشئة إلى الإبداع واكتشاف الإلهام واكتساب التجربة الفنية، إضافة إلى تحسسه بالقيم الجمالية عندما يتاح له تمثيل مواضيع تتعلق بتجميل البيت أو تنظيمه أو تخيل احتياجاته (أسعد، 1988، ص. 119).

كما أن المسرح يبرز ميول ومواهب التلميذ، كما ينمي لديه القدرة على الاستمتاع بالعمل الفني مبدعا أو متلقيا، لأن التربية المسرحية المعاصرة تحث التلاميذ إلى الإبداع والاكتشاف والإلهام، وأن الجهود المبذولة من أجل ذلك، تظهر في النتائج والفوائد التي يقدمها التمثيل وتذهب إلى أبعد من ذلك، أي ليس فقط ما هو موجود من شكل قائم بذاته إلى شكل يستطيع التلميذ التوصل إليه، ففي العرض التمثيلي يقدم الإنسان لتفكيره وعاطفته وسلوكيته وبروابطه الروحية إلى جانب الفعل وتجسيد الفعل، أي المتعة الفنية في الأداء وتكون ساحة العرض التمثيلي بهذه الحالة العالم الذي تعرض فيه الأشياء بشكل مرئي ومحسوس (أسعد، 1988، صص. 135-136).

خلاصة

وفي الختام يمكن القول إننا خلقنا لنبدع، فلا يوجد كائن إنساني مجرد من هذه الصفة، لكننا نختلف في شدتها وميولها وانزياحاتها لدرجة انه لا يوجد إنسان ذكي وآخر غبي إلا بمقدار ما اكتسب وطور من قابلية للإبداع. السيكودراما التربوية هي طريقة وعلم اكتشاف واستثمار تلك القابلية، وجعلها تنمو بطريقة طبيعية من خلال العلاقة مع الذات، وعلاقة هذه الأخيرة مع الأغيار؛ وهي تجعل المتعلم يستبصر كامل الإناء ولا يقتصر نظره على نصفه سواء الفارغ أو المملوء؛ إنها تؤدي إلى الرؤية المتوقعة، سواء أكانت مأمولة أم مرفوضه؛ وتصبح بذلك السيكودراما التربوية في نفس الوقت علاج لبعض الاختلالات النفسية والسلوكية التي قد تعترض تعلم التلميذ، ووقاية له من الأحداث التي سيصادفها في حياته، وتنمية للكفايات والمهارات مادامت تستخدم مختلف الوسائل المتاحة لتطوير الذات.

وقد تبين من خلال تطبيق السيكودراما مدى فعاليتها في المجال المدرسي، وتحقيقها للمردودية المرجوة ما دام هدفها الأسمى لا ينحصر في عملية التنفيس أو الكاطارسيس للذات، بل يتعدى ذلك إلى إعداد المواطن الصالح القادر على رفع التحديات ومواكبة الأحداث والمستجدات المتسارعة، وجعله قادرا على اختيار الاستراتيجيات المناسبة لحل وضعيات مشكل قد تعترضه مستقبلا، وذلك عن طريق تنشيط خطاطاته الذهنية، واتخاذ مواقف متزنة وملائمة للوضعيات؛ كما تضمن عدم عودة المتعلم إلى المشكل الذي سبق وأن عايشه بنفس الحدة، وتمكنه من استبصار تام لذاته، وإمكاناته، ومسؤولياته، لتجعل منه عضوا فاعلا في المتجمع، قادرا على تلافي مخاطر، وتجاوز إحباطات.

كما لا يخفى مدى الحافزية التي سيجنيها المتعلم من ورشات السيكودراما التربوية، ما دامت تنفتح على مستقبله الافتراضي، فتزيح المخاوف، والهموم، والقلق السلبي المرتبط بأفق توقعه على المستوى السيكولوجي، مما يعزز دافعيته للفعل والعمل، ويدفعه للتطور والتجديد مستفيدا من التلقائية والإبداع اللذان يعتبران سيرورتان متصلتان ومتلازمتين للفعل السيكودرامي؛ كما يجعله ذلك يبني مشروعه الشخصي بكل ثقة، وأمل، وجد، علاوة على تحقيق اندماجه الفعال، وديناميته المنتجة داخل النسيج الاجتماعي، مما يجنبه مظاهر التعصب، والتهميش، والانحراف، والاضطرابات بمختلف أنواعها.

المراجع

أحمد لعمش (2013). التوافق الاجتماعي لتلاميذ التعليم الابتدائي وتمثلاتهم للمدرس. الرباط: منشورات مجلة علوم التربية.
المختار شعالي (2013). التربية على الاختيار واتخاذ القرار في التوجيه. مجلة علوم التربي، 56، 61-65.
رينيه بينوا (1964). علم النفس التطبيقي. (مصطفى زيدان؛ حلمي عزيز قلادة، المترجمون) القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي.
عبد الرزاق أسعد (1988). المسرح والتربية: أعمال الندوة الدولية للمحمدية. الدار البيضاء: الشركة المغربية للنشر.
فاطمة عبد الرحيم النوايسة (2015). علم النفس الاجتماعي. عمان: دار المناهج للنشر و التوزيع.
فريد بياض (2010). البيداغوجيا النشيطة وقلب الأدوار داخل الوضعية التربوية. مجلة علوم التربية، 44، 37-48.
كارل غوستاف يونغ (1997). علم النفس التحليلي (الإصدار الثانية). (نهاد خياطة، المترجمون) اللاذقية، سوريا.
كامل محمد محمد عويضة (1996). علم النفس الاجتماعي. (سلسلة علم النفس، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
محمد بن محمود آل عبد الله (2012). علم النفس الاجتماعي ودور الأسرة في التنشئة الاجتماعية. القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع.
محمد سعيد الصمدي (2010). التواصل التربوي بمؤسسات رياض الأطفال. مجلة علوم التربية، 44، 86-101.
محمود عباس عوض (1977). الموجز في الصحة النفسية. القاهرة: دار المعارف.
مصطفى مرزوكي (2015). السيكودراما التربوية. فاس، المملكة المغربية: فاس بريس.

Barrucand, D. (1970). La catharsis dans le théâtre, la psychanalyse et la psychothérapie de groupe. Paris: EPI.

Blatner, A. (1996). Acting-In, Practical application of psychodramatic methods (Vol. third edition). New York: Springer publishing company.

Blatner, A. (2000). Foundation of psychodrama (Vol. Fourth Edition). New York: Springer publishing company.

Fayol , M., & Monteil, J. (1994). Stratégie d'apprentissage: apprendre des stratégies . Revue Français de pédagogie, 106, 91-110.

Marc, E., & Bonnal, C. (2014). Le groupe thérapeutique: approche intégrative. Paris: édition Dunod.

Poussin, G. (2005). La pratique de l'entretien clinique (Vol. 3eme édition). Paris: Dunod.

René.F, M. (1989). Jacob Levy Moreno, 1889-1974: Father of psychodrama, sociometry, and group psychotherapy (Vol. First publisher). New York: by Routledge.

Wengell, D. (2008). Educational opportunities in integrative medicine. New York, USA: the Hunter press